

النتاج الجديد

دراسات في القضية الفلسطينية

« القضية العربية في صراعها مع الصهيونية العالمية ». العدد ٤٩ من « المعرفة »
« الصراع العربي الاسرائيلي ». العدد ٥ من « الطليعة »

واصدروا وعد بلفور، لتقسيم الوطن العربي واقامة وطن قومي لليهود في جزء منه (في ١٩١٦ - ١٩١٧) ، وان الثمانية عشر عاما التي مرت منذ خسارة فلسطين في جولة ١٩٤٨ الاولى ، ان تلك السنين كلها لم تكف العرب ، للاسف ، للتعرف على الصهيونية ، طولا وعرضا ، تعرفا صحيحا يهد لتصحيح الاعوجاج واستعادة الحق السليب .

من هنا كنا نرحب بكل كلمة جديدة تكتب عن فلسطين ، ماضيا او حاضرا او مستقبلا ، شرط ان تكون جديدة وان تكون صحيحة . ومن هنا ، ايضا ، لم يكن ترديد مجلتي « المعرفة » و « الطليعة » لبعض المواضيع التي سبق الكلام فيها (بشكل وافر احيانا) مزعجا ولا اضاعة للوقت ولا للجهد : كدراسة تاريخ بعض المؤسسات الصهيونية ايام الانتداب ، او تاريخ علاقة الصهيونية بالنوايا الاستعمارية . بل لم يكن من المزعج اعادة نشر بعض الابحاث التي سبق نشرها على نطاق ضيق او خاص اما بالحرف الواحد او لبعض منها . ففي « المعرفة » اكثر من خمسة ابحاث نشرت في وقت سابق يتراوح بين عشرين سنة (كمقال الاستاذ البرت حوراني عن ان الصهيونية ليست الحل للقضية اليهودية - ولكن كان يكون افضل لو عهد للكاتب بان يعلق على مقاله اليوم من وحي ما حصل بالفعل خلال العقدين الماضيين ، ومعظم ما حصل اثبت وجهة نظره) وبين سنة واحدة فقط (كمقال الدكتور قسطنطين زريق في الدعوة لانشاء « علم للنكبة ») . انما ما يمكن ان يسجل كماخذ ، بهذا الخصوص ، هو ان بعض المقالات ، وخاصة في « الطليعة » ، اكثر من البدهيات التي اصبح القارىء العربي العادي (ليس الاختصاصي فحسب) يعرفها - كمقال لطفي الخولي الجيد عن جذور وابعاد الصراع

جرت العادة ، منذ ان صدر وعد بلفور في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، ان يكون تشرين الثاني (نوفمبر) شهر فلسطين ، فتخصص الصحف فيه صفحاتها للحديث عن المشكلة الكبرى التي كانت ، الى ١٩٤٨ ، مشكلة حاية ارض فلسطين العربية من الغزو الصهيوني المتآمر عليها بالتحالف مع الحكومة البريطانية . لكن شهر ايار (مايو) اخذ محل تشرين الثاني (نوفمبر) بعد ان حصل الغزو بالفعل ، واحتل الصهيونيون الجزء الاخصب والاكبر من فلسطين . ومثل كل ايار (مايو) آخر منذ حوالي ثمانية عشر عاما ، قرأنا في المجلات والجرائد العربية عن فلسطين ، في ايار (مايو) هذه السنة ، اغزر واكثف مما نقرأ في اشهر السنة الاخرى . لكن ما تفوق به هذا الشهر التاريخي من السنة الحالية هو صدور عدد من خاصين عن فلسطين من مجلتي عربيتين رئيسيتين . وجه الاهمية ليس فقط ل « المجلتين » (« المعرفة » السورية و « الطليعة » المصرية) تمبران عن اتجاهين رئيسيين في الفكر العربي السياسي المعاصر ، بل ايضا لان المقالات فيها كان معظمها اقرب الى الابحاث والدراسات منها الى المقالات الصحفية العابرة التي تشيع كتابة امثالها في المناسبات والفراسم ، والتي تتصف عادة بالعاطفية والتكرار . ان العديد من المذكورين من المجلات القليلة التي سيحرص المؤلف القضية الفلسطينية ، تاريخيا او سياسيا ، على منطها في مكتبته كجزء من مراجع دراسته .

ول لا جدال اننا لا نزال بحاجة الى الكثير من المعلومات عن القضية الفلسطينية . فان السبعين سنة التي مرت منذ ان تكونت الحركة الصهيونية بشكلها الرسمي (في مؤتمر بال ١٨٩٧) ، وان السنين سنة التي مرت منذ ان دخل الانكليز الفلسطين ومنذ ان عقدوا اتفاقية سايكس - بيكو

العربي الاسرائيلي ، حيث يتحدث مطولا عن عداء العرب للصهيونية لا لليهودية ، وحيث يفرق مطولا بين العروبة والاسلام ، وهي قضايا لم تعد بحاجة لشرح ولا لتفصيل بالنسبة للمواطن العربي .

مقابل هذا نجد في «المعرفة» جهدا وتوفرا على تنوير فكر القارئ تنويرا مركزا وجديدا على صعيدين : صعيد الابحاث الفلسطينية التي تعالج بعض نواحي القضية الفلسطينية من الناحية النظرية (ك مقال البرت حوراني الآنف الذكر ، ومقابلة سليمان قطاي مع المفكر الاشتراكي اليهودي الفرنسي مكسيم رودنسون) ، وصعيد المعلومات والاحصاءات والوثائق (ك مقال شاكر مصطفى عن اسرائيل وافريقيا ، وفايز صايغ عن الامم المتحدة وقضية فلسطين ، وجورج طعمه عن تمويل الغرب ، وخاصة امريكا ، للحركة الصهيونية) .

والدليل على اهمية معالجة القضية الفلسطينية ان في المجلتي عددان من المسائل التي عولجت في كليهما: كعلاقة اسرائيل بالاستعمار والامبريالية ، ونشاطها في افريقيا ، والعرقية الصهيونية ، ومحاولة العثور على صيغة عربية لمواجهة العدو اليوم وغدا . ولسنا هنا نحاول ان نقارن بين جودة المعالجة في كل من المجلتي ، اذ ان كل مقال انما هو وحدة قائمة بذاتها . لكننا نلاحظ من الجهة الواحدة ، ان بعض مقالات «المعرفة» تتنازع عن معظم مقالات «الطلیعة» بالغوص اعمق في البحث عن الاصول . ونلاحظ ، من الجهة الاخرى ، ان في «الطلیعة» توجيها واشرافا عاما اوسع ، من جهة رئيس التحرير ، مما في «المعرفة» . فانه لما يؤخذ على «المعرفة» ان العدد يكاد يكون بلا تحرير ولا تنسيق . اكتفى قلم التحرير بان يعهد الى كتاب معروفين باختصاصهم بالقضية الفلسطينية بان يكتبوا عما يعرفونه من نواح خاصة ، ثم ينشر المقالات التي وردته منهم . فالواضيع متناثرة ومتناثرة احيانا . ونسب الجودة فيها متباعدة . ومع ان معظمها ممتاز يلقى بافضل الكتب المرجعية في القضية ، يناسب بعضها الصحف السيارة التي اعتادت العلاج السريع . كما نشرت تفاصيل جلسات ندوة فلسطين (التي انعقدت في القاهرة ربيع ١٩٦٥) مع ان صحفا كثيرة نشرتها منذ اشهر بشكل مفصل وواسع . كما نشرت قائمة مقتضبة

لمراجع بعض نواحي القضية ، دون ان يكون فيها وحدة او انسجام ، ودون ان تكون القائمة تفي بأي غرض . بل ان ترقيم الصفحات في «المعرفة» فيه لحبشة وتكرار وعدم تناسق . كذلك الفهارس والتبويب بشكل عام . وهي امور قد لا تكون مهمة بالنسبة الى مجلة عادية او عدد عادي ، ولكنها مهمة بالنسبة الى مجلة - مرجع . ولا شك ان العدد كان يكون افضل ايضا لو تحاشى القليلون من الكتاب بعض انزلاقاتهم العاطفية . فخاصة في قضية فلسطين ، حيث الحسارة اجسم من ان نكتب مشاعرنا ، يجب ان نخذر من ان نخط الحقائق بالعواطف ، ما دام في الحقائق من القوة والحجة ما يكفي للتعبير عن نفسها . ثم ان بعض المقالات يناسب عددا مثل هذا العدد يصدر بلغة اجنبية لان القصد منها توضيح نواح من القضية للغرب اكثر منها للعرب (ك مقال الدكتور عزت طنوس عن قيام اسرائيل على العنف) .

وما يميز المجلة الواحدة عن الاخرى ، بنظر سريعة ، هو ان عدد «المعرفة» عن «الصهيونية» بالدرجة الاولى ، بينما عدد «الطلیعة» عن «اسرائيل» ؛ وان «المعرفة» تهتم بالماضي بالدرجة الاولى ، بينما تهتم «الطلیعة» بالحاضر والمستقبل . وان قسما كبيرا من ابحاث «المعرفة» يتناول تاريخ الصهيونية وصراعها مع القومية العربية . بينما يتناول القسم الاكبر من مقالات «الطلیعة» المظاهر الاقتصادية للكيان المغتصب .

ومن جملة ما تستخدم المجلتان به القارئ فكريا قد تخطر ان لباله عند مطالعة مقال جيد في «الطلیعة» عن «ازمة اسرائيل من الداخل» ، وباب جيد في «المعرفة» هو «دراسات وترجمات في كتب القضية» اولاهما : لماذا لا يصدر عن هذه المجلة او تلك او عن اية مجلة عربية اخرى تشترك معها في التحسس باهمية القضية الفلسطينية ووجوب درساها عدد خاص عن «اساسيات» النظام والحياة في اسرائيل من الداخل ، - عن الحياة فيها اليوم بشكل عام : جيشها ، اقتصادها ، ادارتها ، حكومتها ، احزابها ، منشوراتها ، صحفها ، جامعاتها ، الخ ، بشكل مركز مقتضب وبتبويب

أيجدي يكون في المستقبل مرجعا سريعا لكل من
يود معرفة امر هام من امور الحياة والنظام في البلد
المثلى . ثانيا : لماذا لا يصدر عدد خاص آخر
يستعرض العشرات من الكتب التي صدرت بلغات
أجنبية ، في العقد الاخير والعقدين الاخيرين ، ويعرف
القارى عليها كاحصل للكتب الاربعة التي استعرضها
باب نقد الكتب في « المعرفة » - ونقد احد هذه
الكتب ، كتاب اثل منين « في الطريق الى بشر
هبع » ، يمكن ان يؤخذ كنموذج على ذلك . فهو
من احسن ما صدر من دراسات عن الكتاب
المذكور حتى الآن ، من حيث التحليل السياسي لا
الفني ، ومن حيث الاشارة الى معاني الرواية السياسية
ومدلولاتها التاريخية . يضيف الى اهمية جهد من هذا
النوع ان اقلية القراء العرب ، وهى اما لاتعرف
ولا العربية او انها لا تطالع عادة الا الكتب العربية
فقط وان كانت تعرف لغة او لغات اجنبية ، تجهل
الكثير مما يصدر في الخارج من كتب عنا وعن
لغائنا ، سياسية كانت او قصصية او رحلات او
غير ذاتية ، الا من خلال اخبار مقتضبة في بعض
الصحف العابرة او من خلال ترجمات معظمها دون
الاستوى ، ان لم يكن مشوها .

من يبرهن عددا « الطليعة » و « المعرفة » على ايماننا
بالمؤسسات الخاصة (وهما مؤسستان خاصتان
لان كانتا على ارتباط بحكومتى البلدين اللذين يصدران
فيهما) تستطيع ان تفعل الكثير في خدمة القضية
فلسطينية وفي اثارة الازدهان بشأنا ، كما يبرهنان
في ضرورة عدم ترك الامور كلها على عاتق
الحكومات واجهزتها الرسمية ، خاصة في هذا الوقت ،
في « مرور ثمانية عشر عاما على النكبة » ، حيث
ان مؤسسات خاصة تظهر مؤخرا من اجل درس
لبنية فلسطين (وبينها مركزان للابحاث في بيروت ،
بيروت في القاهرة ، ومجلة نصف شهرية خاصة
فلسطينية تصدر عن احدى الصحف اللبنانية) .
لان ان المؤسسات غير الحكومية هي المؤهلة لعمل
على هذا اكثر من غيرها . فانها تستطيع ، مثلا ،
ان تستقطب وتستكتب الاختصاصيين في الموضوع
منها كانت اتجاهاتهم الفكرية وولائهم الحزبية
التي همهم العربية . ثم انها تستطيع معالجة بعض
المجوز بحرية اكثر . تستطيع ، مثلا ، ان تتناول

قضية الدعاوة العربية في الخارج بتحرر وبنقد
اوسع مما لو كانت مؤسسة حكومية . وحديث
الدعاوة لا بد من خوضه في اي كلام عن فلسطين .
غير ان « المعرفة » لا تكتفي بتقديم وجهة نظر
واحدة ، بل تقدم رأيين . فبينما يتبنى عبد الله
عبد الدائم الفكرة السائدة باهمية الدعاوة ويهاجم
تقصير الحكومات العربية ويدعو الى المزيد من
النشاط ، وهو مسؤول حكومي في بلده (او كان
كذلك عند كتابة مقاله) ، يخالفه سامي هداوي
الرأي ، مع انه هو نفسه عمل في حقل الدعاوة
مطولا . ونحن نفهم ان يقول السيد هداوي « انه
لا يمكن ايجاد حل مرض للقضية الفلسطينية الا اذا
جاء هذا الحل من داخل العالم العربي » ، لكننا
لا نرى مثله ان الجهود العربية التي بذلت في الخارج
خلال العشرين عاما المنصرمة لم تنتج شيئا بل على
العكس دفعت الدعاية الصهيونية على زيادة نشاطها .
فان مجرد دفع الدعاية العربية للصهيونيين على زيادة
نشاطهم هو مجرد ذاته دليل على ان الدعاية العربية
اثمرت ولذا احس بها العدو وتأثر بها .

يخرج القارىء من مطالعة المجلتيين بأراء
ومعلومات جديدة في القضية ، تصبح بعض ما قديكون
قد رسب بعقله من قبل ، من معلومات او تفسيرات
يخطئها بعض اصحاب المقالات . فسلیمان الحشن
يصحح القول الشائع ان اسرائيل تتلاعب بالدول
الاستعمارية . ويصحح غرة دروزة التصوير الشائع
لضياح فلسطين وكأنه ضياح لاندلس جديدة .
ويصحح شاكر مصطفى الاعتقاد الشائع بان العرب
اسويون مع ان اكثر من نصفهم افريقيون . ويصحح
فايز صايغ الزعم الغربي الشائع بان اليهود يطعمون
قرارات الامم المتحدة ويثبت عكس ذلك . مقابل
هذا يحسن بنا ان نشير الى اخطاء قليلة كان الاجدر
بالكتّاب او بالمرور تحاشيها ، كالقول ان الاقلية
المسيحية في فرنسا ارثوذكسية ، وان العرب احتلوا
فلسطين قبل الرومان ، وتسمية الكاتب المعاصر
عبد اللطيف الطيباوي باسم « ا . ل . طيباوي » ،
واغفال ذكر المصادر التي اخذت مجلة « المعرفة »
عنها بعض مقالاتها ، وعدم اتباع نمط موحد معين
من تهجئة اسماء الاعلام الاجنبية ، مثل هيرتزل
وايزمن .

انيس صايغ